أروع القصص العالمية

أوليفر تويست

أكاديميا

أروع القصص العالمية
أوليفر تويست
أكاديميا

هذه المجموعة من روائع الأدب العالمي الكلاسيكية توفّر للقارىء متعةً تجعله يعيش في عالم من الإثارة والتشويق والخيال، ومرجعاً أدبياً يعين الطالب في فهم مميزات الرواية الكلاسيكية والحبكة الدرامية.

تروي قصة «أوليفر تويست» حكاية صبي يتيم يدعى أوليفر، استطاع بفضل صموده البقاء على قيد الحياة بعد معاناة طويلة مع الجوع في ملجأ للأيتام، والعيش مع رجل شرير يدعى فاغين، قبل أن يلقى السعادة في نهاية المطاف بعد سلسلة أحداث شيّقة ومثيرة.

في هذه السلسلة

فرانكنشتاين
الدكتور جيكل ومستر هايد
دراكولا
شبح الأوبرا
20 ألف قدم تحت الماء
رحلة إلى باطن الأرض
جزيرة الكنز
روبنسون كروزو
الحديقة السرية
أوليفر تويست
نداء البراري
بلاك بيوتي- المهر الأسود


ISBN 9953-37-422-8

أروع القصص العالمية

أوليفر تويست

كتبها بتصرُّف

بولين فرانسيس

ترجمة

حسّان بستاني

أكاديميا

أوليڤر تويست

حقوق الطبعة العربية © أكاديميا انترناشيونال 2007

ISBN: 9953-37-422-8

Oliver Twist

First published by Evans Brothers Limited (a member of the Evans Publishing Group)
2A Portman Mansions, Chiltern Street, London W1U 6NR, United Kingdom

Academia International أكاديميا انترناشيونال

P.O.Box 113-6669 ص.ب.

Beirut - Lebanon 1103 2140 بيروت – لبنان

Tel (961 1) 800811-862905 -800832 هاتف

Fax (961 1) 805478 فاكس

E-mail: academia@dm.net.lb بريد الكتروني

www.academiainternational.com

أوليڤر تويست

الفهرس

المقدمة

وُلِدَ تشارلز ديكنز عام 1812، وهو الثاني بين ثمانيةِ أولاد. وفي عمرِ الإثني عشرَ عاماً، أُدخلَ والدُه السجنَ لأنه كان مَديناً بالمال. فخرج تشارلز للعملِ لمُساعدةِ عائلتِه. وهو لم ينسَ أبداً هذا الوقتَ العصيبَ عندما كان فقيراً، وقد ضمَّنَ لاحقاً بعضَ قِصصِه تجاربَ كان قد مرَّ بها.

في العقدِ الثالثِ من عُمرِه، وجدَ تشارلز عملاً يقضي بالكتابةِ عن حياةِ لندن لحسابِ الصحفِ والمجلاّت. نُشرت بعضُ هذه المقالاتِ في كتابٍ يدعى "بيكويك بابيرز" *Pickwick Papers* أي "مقالاتُ بيكويك". وهكذا أصبح تشارلز ديكنز شهيراً في سنِّ الرابعةِ والعشرين.

وبعد عام، بدأ تشارلز كتابةَ قصةِ أوليڤر تويست على صُورةِ حلقاتٍ متسلسلةٍ لمجلّةٍ شهريّة. وقد نشرت هذه القصّة في كتابٍ عام 1838. تروي "أوليڤر تويست" قصةَ يتيمٍ فقيرٍ قاومَ الجوعَ ونجا من حياةٍ شاقّةٍ مع الشرّير فاغين. وكان فاغين قد عمل على تدريبِ أوليڤر ليكونَ نشّالاً، وقد بذل ما بُوسعهِ لتدميرِ البراءةِ الساذجةِ عند هذا الفتى الصغير.

كتب تشارلز ديكنز العديدَ من الرواياتِ الشهيرةِ الأخرى، منها "نيكولاس نيكلبي" *Nicholas Nichleby* و"ديفيد كوبرفيلد" *David Copperfield*، و"ترنيمة الميلاد" *A Christmas Carol*. و"الآمال الكبيرة" *Great Expectations*. وقد تُوفّي عام 1870 وهو في الثامنةِ والخمسين من العمر، ودُفن في كنيسة وستمينْستر في مدينة لندن.

الفصل الأول

جائع!

في إصلاحيّةٍ للأحداثِ في بلدةٍ صغيرةٍ شمالي لندن، رفعتِ امرأةٌ شابّةٌ، شاحبةُ اللونِ، رأسَها عن وسادتِها بوَهَنٍ شديد، ولمسَتْ مُدلاةً حولَ عنقِها، ومن ثمَّ خاتماً في إصبعِها، وقالت للممرِّضةِ الواقفةِ بجانبِ سريرِها: "أعطِ هذه للطفل".

"سأفعلُ يا عزيزتي"، أجابتِ المرأةُ العجوز.

وضعَتِ الممرِّضةُ المولودَ الجديدَ بين ذِراعَي والدتِه. فقبّلتِ المرأةُ الشابّةُ جَبينَه بشفتَيْها البيضاوتين الباردتين، وارتجفت، ثمّ أسلمَتِ الرُوح.

"مِن أينَ أتت؟"، سألَ الطبيب.

قالتِ الممرِّضةُ: "لا أحدَ يعرف".

كان أوليڤر يبكي بصوتٍ مرتفع. ولو كان يعلمُ أنّه أصبح يتيماً لبكى على الأرجح بصوتٍ أكثرَ ارتفاعاً...

بعد وِلادتِه، أُرسلَ أوليڤر إلى مَيْتَمٍ حيث كان عليه العيشُ بأقلِّ قدْرٍ مُمكنٍ من الطعام. وهناك كبُرَ حتى أصبحَ ولداً نحيلاً شاحِبَ اللون. وفي عيدِ ميلادِه التاسع، قدِم السيد بامبل لرؤيتِه، وهو الذي كان يُعنَى بالأيتامِ في كنيسةِ الأبرشيّة. فقال للمرأةِ العجوزِ التي تُديرُ شؤونَ المَيْتَم:

"لقد بلغَ أوليڤر عُمراً لا يخوّلُه البقاءَ هنا. حان الوقتُ ليُغادرَ للعيشِ في الإصلاحيّةِ حيث يتعلّمُ مِهنةً مُفيدة، وعندها يُمكنُه كسبَ قوتِه. دَعيني أراهُ حالاً".



كان على السيد بامبل أن ينتظِرَ وقتاً طويلاً. فلم يكُنْ يعلمُ أنَّ أوليڤر يُمضي عيدَ ميلادِه في قَبْوِ الفحم. لمَاذا؟ لأنه تجَرّأ على التذمُّرِ بسببِ ما كان يُصيبُه من جوع!

"هلاّ تُرافِقُني يا أوليڤر؟"، طلب السيّدُ بامبل بلُطْفٍ مِن الفتى لدى دُخولِه الغُرفة.

اسْتَشَفَّ أوليڤر اللُطفَ في صوتِ الرجل، فاستغلَّ الفُرصةَ وبدأ بالصراخِ قائلاً: "أنا جائِع"، وبكَى.

فأمرَ السيدُ بامبل قائلاً: "أعطُوه بعضَ الخُبز!"

رافقَ أوليڤر السيِّدَ بامبل وفي يدِه شريحتانِ من الخُبزِ وبعضَ الزُبدة، وعلى رأسِه قبَّعةَ الأبرشيّةِ البُنيّة الصغيرة. وكان مسروراً لمُغادرتهِ البيتَ البائس الذي لم يجدْ فيه أي كلمةٍ أو نظرةَ حِنانٍ تُدخِلُ البهجةَ إلى سنواتِهِ الأولى الكئيبة.

في الإصلاحيّةِ، كانَ هناكَ قاعِدةٌ واحدةٌ: وهي أنَّ الفقراءَ المُقيمينَ فيها يجبُ أن يمُوتوا جوعاً ببُطْء! فقد كان يقدَّمُ لهم دقيقُ الشُوفانِ والماءُ ثلاثَ مرّاتٍ في اليوم، وبصلةٌ واحدةٌ مرّتَين في الأسبوع، ونصفُ رغيفٍ من الخبزِ أيامَ الآحاد.

"يجِبُ على أحدٍ منا أن يطلُبَ المزيد"، قال أحدُ الفتيان. "سوف نُجري سحباً بالقُرعة". كان أوليڤر هو الذي التقطَ القشّةَ القصيرة. وفي ذلك المساء، عندما أفرغَ جميعُ الفتيانِ أطباقَهم، تظاهَروا بعدمِ النظرِ إلى أوليڤر. فنهضَ عن الطاولة، وحملَ طبقَهُ الفارغ، واتّجهَ نحوَ المسؤول.

"أرجوكَ يا سيِّدي، أريد كميّةً أكبر"، قالَ أوليڤر.

ثم سادَ صمتٌ طويل.

"ماذا!"، قال أخيراً الرجلُ المشدوه.

"أرجوك يا سيّدي، أريدُ كميّةً أكبر"، كرَّر أوليفر قولَه.

فالتقطَ المسؤولُ مِلعقةً كبيرةً وضربَ بها رأسَ أوليفر، وصرخ: "سيد بامبل، لقد طلب أوليفر تويست المزيد!"

في ذلك اليوم، احتُجِزَ أوليفر بمُفردِه في غُرفةٍ. ولدى هبوطِ الليل، وضعَ يدَيْه على عينَيهِ للحؤولِ دون دخولِ الظلامِ إليهما. وفي صباحِ اليومِ التالي، ظهر هذا البلاغُ على بوابةِ الإصلاحيّة:

مكافأة

5 جنيهاتٍ إنكليزيّةٍ لقاءَ إيواءِ فتىً مبتدئ

أخيراً، وبعد أسبوعٍ من الزمن، فتحَ السيّدُ بامبل بابَ الغرفةِ وقال لأوليفر: "سوف تذهبُ للعملِ لدى السيد سووربيري. الآن، ضعْ قبّعتَك على رأسِك بشكلٍ مرتّبٍ وارفعْ رأسَك أيُّها الفتى".

"حاضِرْ يا سيدي"، أجابَ أوليفر بصوتٍ مُرتَعِش.

وصلَ الإثنانِ إلى متجرِ السيّد سووربيري بينما كان يُغلِقُ مصاريعَ النوافذ. فرفعَ صاحبُ المتْجرِ شمعتَه للنظرِ إلى أوليفر، ونادى زَوْجتَه قائلاً: "سيّدة سووربيري، إنّه هنا!"

قدِمتِ السيّدةُ سووربيري من غُرفةٍ صغيرةٍ خلفَ المتجرِ وحدّقَتْ بأوليفر بإمعانٍ وقالت: "يا للدهشة! إنه صغيرٌ جداً".

"سوف يكبرُ، سيّدة سووربيري"، أجابَ السيدُ بامبل.

فدمدمَتْ متذمِّرةً: "أجرؤُ على القولِ إنه سوفَ يأكُلُ ويشربُ كلَّ ما هو موجودٌ في المنزل". ثمّ فتحَتْ باباً صغيراً وصاحَتْ: "انزلْ إلى هناك أيّها الكيسُ العَظْميُّ الصغيرُ!"

ثم دفعَتْ أوليفر على دَرجاتِ سُلَّمٍ شديدِ الانحدار إلى داخلِ مطبخٍ مُظلمٍ حيث تجلِسُ فتاةٌ مظهرُها غيرُ مرتّبٍ بالقربِ من النار. وصرخَتِ السيدةُ سووربيري وهي تتبعُه قائلةً: "شارلوت، أعطي هذا الفتى بعضاً من قطعِ اللحمِ البارِدِ التي لم يرغبِ الكلبُ في تناولِها".

امتلأتْ عينا أوليفر إشراقاً لدى التفكيرِ ببعضِ اللحم. وكم كان من المؤثرِ رُؤيتُه وهو ينهَشُ هذا الطعامَ الكريهَ بلهفةٍ شديدة. وبعد أن انتهى، التقطتِ السيّدةُ سووربيري مِصْباحاً خافِتَ الضوء، ومشَتْ أمامَهم عائدِةً إلى الطابقِ العُلوي، ثم سألت: "أعتقدُ أنك لن تمانعَ في النومِ بين التوابيت؟" وأضافتْ: "لكن لا يهمّ إن مانعْتَ أم لا. فسريرُكَ تحت المِنضَدَة".

كان أوليفر يعملُ جاهِداً لدى الحانوتيّين، وكان وجهُه الحزينُ مناسِباً تماماً لحضورِ المآتم. وبعد انتهاءِ شهرِ الاختبار، استخدمَهُ السيد سووربيري كحانوتيٍّ مبتدئ. وكاد أن يكونَ سعيداً تقريباً لولا وجود نُوا.

كان نُوا كلايبول يعملُ أيضاً لدى السيد سووربيري، وكان يغارُ من أوليفر ويعاملُه بشكل سيّىء. وفي أحدِ الأيام، عندما كان أوليفر ونُوا ذاهبَيْن إلى المطبخِ لتناولِ الطعام، بدأ نُوا بمُضايقةِ أوليفر. فقد كان يشُدُّ شعرَه ويقرُصُ أُذنيه.

ثم قال له بازدراء: "جَبان! أودُّ أن أراكَ مشنوقاً!"

لكنّ أوليفر امتنعَ عن الصُراخ.

وسأله نُوا أخيراً: "كيف حالُ والدتِك؟"

"إنّها ميتة"، أجابَ أوليفر وقد احمرَّتْ وجنَتَاه. "لا تقلْ عنها شيئاً أمامي!"

قال نُوا ساخراً: "كانت والدتك امرأةً سيئةً جداً".

"ماذا قلت؟"، سأل أوليفر بغضبٍ.

"امرأةٌ سيئة، ومن الجيدِ أنها ماتت قبلَ أن تُشنَق".

احمرَّ وجهُ أوليفر غضباً، وهجمَ على نُوا فجأةً وأحكمَ قبضتَه على حلْقِه. ثم أخذ يهزُّه حتى اصطكتْ أسنانُه في رأسِه، وبلطمةٍ شديدة طرحَهُ أرضاً.

فصرخ نُوا: "شارلوت! الفتى الجديدُ يحاولُ أن يقتُلَني! ساعديني! ساعديني! لقد أصبحَ أوليفر مجنوناً! شارلوت!"

هُرِعَت شارلوت والسيّدةُ سووربيري وسحبتا أوليفر بعيداً عن الفتى الآخر، وهو يقاومُ ويصرخ. ثم ضربه السيّدُ سووربيري بعصا.

وفي تلك الليلة، بعد أن تُرِك أوليفر وشأنُه أخيراً، بكى قبل أن يستسلم لنومٍ مضطرب. ولم يستيقظْ إلاّ عندما لاحَتْ أولى أشعّةِ الفجرِ عبر فُتحاتِ مصاريعِ نوافذِ المتجر.

"لن أدَعَهُم يضرِبُونني بعدَ الآن. سوف أهرُب بعيداً وأبحثُ عن حظّي بعيداً من هنا"، فكَّر أوليفر بإباء.

ثم نهضَ من فراشِه وفتَح قفلَ الباب. ألقى نظرةً سريعةً إلى اليمينِ واليسار، وخرج متوجِّهاً نحو أعلى التلّ.

الفصل الثاني

فاغين يؤوي أوليفر

حالَما بلغَ أوليفر الطريق، أخذ يركُضُ ويختبئُ بين الشُجَيْراتِ المزروعةِ على حافّةِ الطريقِ كلَّما مرَّ به شخصٌ. وفي النهاية، وصل إلى علامةِ طريقٍ كُتب عليها: لندن 70 ميلاً.

فقال في نفسِه: "سأذهبُ إلى هناك! إنّها مدينةٌ كبيرةٌ جداً لن يَجدَني أحدٌ فيها!"

سارَ أوليفر عشرينَ ميلاً في ذلكَ النهار، ولم يَتناولْ سِوى كِسرةِ خُبْزٍ جافّةٍ وبعضِ الماء. وعندما هبطَ الليلُ، انعطفَ إلى داخلِ حقلٍ وانسلَّ خِلْسةً تحت رُزمةٍ من القشّ. شعرَ بالرُعبِ في بادئِ الأمر، ولكنّه سُرعانَ ما استغرقَ في النومِ من شِدّةِ تَعَبِه.

في اليومِ التالي، لم يكُنْ بإمكانِه أن يسيرَ إلاّ مسافةَ اثنَي عشرَ ميلاً فقط لأنَّ قدَمَيه كانتا تؤلمانَه، وكانت ساقاهُ ضعيفتَين إلى حدِّ الارتجاف. أبدى بعضُ الناسِ لُطفاً كبيراً فأعطوه فَضْلاتٍ من الخبزِ والجبن. وبقي على هذه الحال عدّةَ أيامٍ إلى أن وصلَ أخيراً إلى بلدةِ بارنيت الصغيرةِ الواقعةِ على بُعدِ أميالٍ قليلةٍ شماليّ لندن. كان الوقتُ مُبكِراً جداً بحيث أنَّ كلَّ المتاجرِ كانت لا تزال مقفلة. فجلس أوليفر على عتبةِ بابٍ باردةٍ طلباً للراحة. تقدَّم باتجاهِه فتىً من بعيدٍ يرتدي سُترةً تكادُ تُلامِسُ الأرضَ. وكان قصيرَ القامة، وساقاه متقوِّستَين، وعيناه يقظتَيْن وقبيحتَين.

"ما المُشكِلة؟" سألَ الفتى.

قال له أوليفر والدُموعُ في عينَيه: "أنا جائعٌ وتعِبٌ جداً. مضى عَلَيَّ سبعةُ أيامٍ وأنا أسير".

"تريدُ طعاماً، ستحصُل عليه"، أجابَ الفتى حاملاً أوليفر على الوقوف. "أدعى جاك دوكينز، ولكن أصدقائي يدعونني أرتفُل دُودجَر (أي 'المحتالُ البارع') لأنني بارِعٌ في تجنّبِ المشاكل. ادعُني دودجر باختصار".

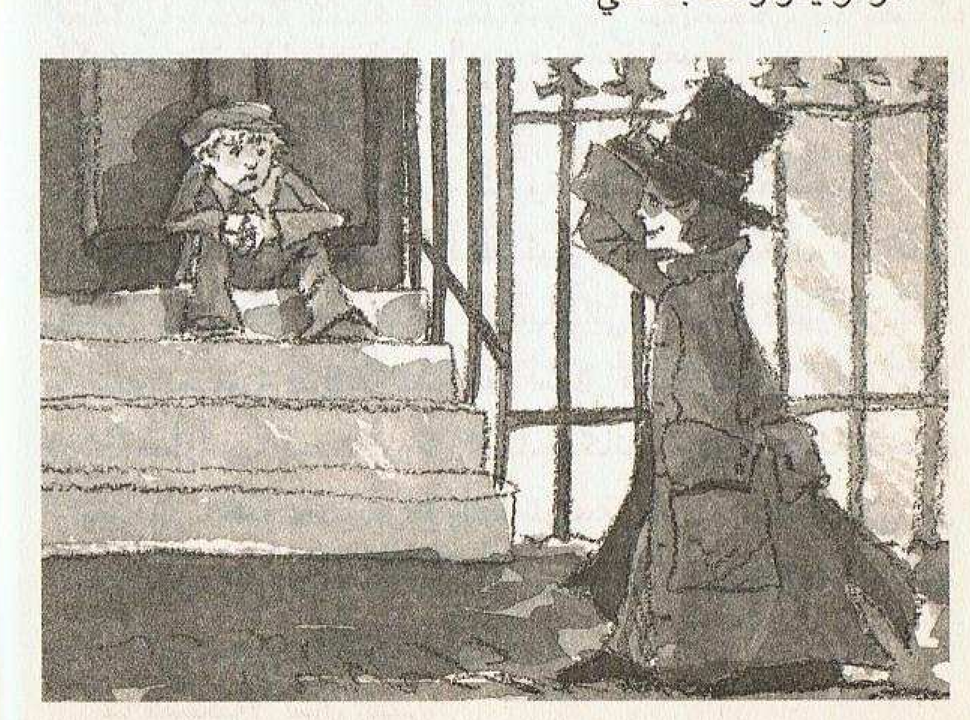
اصطحبَ دودجر أوليفر إلى حانة.

"هل أنتَ ذاهبٌ إلى لندن؟"، سألَ دودجر أوليفر فيما كانا يتناولانِ بنَهَمٍ لحماً مقدَّداً وخبزاً وشراباً.

"أجل"، أجاب أوليفر.

"هل تملِكُ منزلاً؟ أو مالاً؟"، سألَ دودجر.

هزَّ أوليفر رأسَه بالنفي.



"أفترِضُ أنك تُريدُ مكاناً لكي تبيتَ فيه هذه الليلة؟"، قال دودجر.

"أجل، أريد،" أجاب أوليفر.

"عليّ أن أكونَ في لندن هذه الليلة، وأنا أعرفُ سيِّداً عجوزاً محترَماً يقدّمُ لك مسكناً مجاناً"، أخبره دودجر.

لم يكنْ دُودجر المحتال يرغبُ في الوُصولِ إلى لندن قبل حلولِ الظلام، ولذلك كانت الساعة تشير إلى حوالي الحادية عشرة عندما وصلا إلى ضواحي المدينةِ. ألقى أوليفر نظرةً سريعةً حولَه. لمْ يسبِقْ له أن رأى مكاناً أكثرَ بؤساً. كان الشارعُ ضيِّقاً جداً وموحِلاً ومليئاً بالروائحِ الكريهَة. وكان فيه أولادٌ قذِرون يصرخون ويزحفونَ في كلِ مكان، وكانت جوانبُ الشوارعِ ملأى بالرجالِ والنساءِ الثَمِلين. وفيما كان أوليفر يفكّرُ بالفِرارِ ثانيةً، فتحَ صديقُه بابَ منزلٍ وسحبَهُ إلى الداخل.

"ما هي كلمةُ السر؟"، صرخَ صوتٌ في الداخل.

"أمرٌ مرغوبٌ فيه فُزنا به!"، أجابَ دودجر المحتال.

سحَبَ دودجر المحتالُ أوليفر خلفَه إلى الدَوْرِ العلويِّ مُمسِكاً به بإحكام، واقتادَه إلى غُرفةٍ في الجِهةِ الخلفيّةِ من المنزل. كانت هذهِ الغرفةُ قاتِمةَ اللونِ لشدّة قِدَمِها، وقذِرةً، ومُضاءَةً بشَمْعةٍ ثُبِّتت داخلَ قِنّينةٍ فارِغة. وكان يوجدُ فيها رجلٌ متقدِّمٌ في السن، واهِنٌ، يقفُ أمامَ النارِ يَطْهو النقانق. كان وجهُه القبيحُ مغطّىً نصفيّاً بشعرِه الأحمرِ المتلبّد.

ألقى أوليفر نظرةً سريعةً على حِصانٍ خشبيٍّ لتعليقِ الثيابِ قائمٍ بجانبِ الرجلِ تتدلّى منه مناديلُ حريريّة. وكان يوجد عدّةُ فُرُشٍ خشنة مصنوعةٍ من أقمشةٍ فضفاضَةٍ قديمةٍ موضوعةً على الأرضِ على عجلٍ وجَنْباً إلى جَنْب. وكان يجلسُ حول الطاولةِ أربعةُ أو

خمسةُ فتيانٍ يُدخّنونَ غلايينَ طويلةٍ من الطين ويشربونَ الجينَ الممزوج بالماءِ الساخن.

"فاغين، هذا صديقي أوليڤر تويست"، قال دودجر المحتال.

"إني مسرورٌ بمعرفتِك، سيّد تويست"، قال فاغين منحنياً. "أرى أنك تحدّقُ بالمناديل. لقد حصَلنا عليها للتوّ لغسلِها ليس إلاّ، يا أوليڤر".

وكم كانت دهشةُ أوليڤر شديدةً عندما بدأ فاغين والفتيانُ يضحكونَ بصوتٍ عالٍ. فجلسَ معهم وتناولَ عشاءً كبيراً، وشربَ قليلاً من الجينِ مع الماءِ الساخن، واستغرقَ في نومٍ عميق. وعندما استيقظَ في صباحِ اليوم التالي، كان بمُفردِه في الغُرفةِ مع فاغين. تمدَّد أوليڤر على ظهرِه نصفَ نائمٍ يُراقبُ الرجلَ العجوز وهو يضعُ علبةً صغيرةً على الطاولة. ولمعتْ عينا فاغين عندما رفعَ الغطاءَ وأخذ يتفقَّدُ بشَغَفٍ شديدٍ ساعةً ذهبيّةً ومشابكَ للزينةِ وأساورَ، وجواهرَ أخرى.

"لِمَ يعيشُ في مكانٍ قذرٍ كهذا وهو ثريٌّ إلى هذا الحد؟"، تَساءلَ أوليڤر.

ولدى عودةِ الفتيانِ الآخرين حاملينَ مزيداً من المناديلِ الحريريّة، لعِبَ فاغين لعبةً غريبةً جداً معهم. فوضعَ ساعةً في جيبِ صُدْرتِه وبدأ يقفزُ في أرجاءِ الغرفة، متوقّفاً بين الحينِ والآخر وكأنه ينظُر إلى نافذةِ أحد المتاجر. ثمّ تبعَهُ دودجر وفتىً آخر يُدعى تشارلي عن كَثَب. فجأةً، داسَ دودجر على أصابعِ قدمَي فاغين وارتَمَى تشارلي عليه. وبعد ثانيةٍ من الزمن، كان الفتيان يحملانِ ساعةَ فاغين!

بعد الظهر، أتتْ سيِّدتانِ شابّتان لزيارتهم. لم تكونا جميلتَين

جداً، ولكن وجهَيهما كانا مشرقَين بسببِ مساحيقِ التجميل وأحمرِ الشِّفاه. وكانت إحداهما تُدعى نانسي وقد أحبّها أوليڤر كثيراً. وبعد أن تناولتا قليلاً من مشروب الجين، خرجتا مع دودجر المحتال وتشارلي.

"نفِّذْ ما يَطلبُ منك هذان الفَتيان وستُبلي بَلاءً حسناً في الحياة، يا أوليڤر"، تمتَمَ فاغين وهو يقتربُ من أوليڤر. "والآن، هل يتدلّى منديلي من جيبي، يا عزيزي؟"

أجاب أوليڤر: "أجل يا سيدي".

"تحقّقْ ممّا إذا كان بإمكانِكَ سحبُه من دون عِلمي كما فعل الفَتيان هذا الصباح"، قال فاغين.

أمْسكَ أوليڤر بأسفلِ الجيبِ بإحدى يَدَيْه كما شاهدَ دودجر المحتال يُمسِكُ بها، وسحب المنديلَ بهدوءٍ باليدِ الأخرى.



"إنكَ فتىً ماهِر، يا عزيزي"، قال فاغين وهو يُربِّتُ على رأس أوليڤر. "إليك هذا الشيلينغ. سوف تُصبحُ رجلاً عظيماً يوماً ما".

فكّر أوليڤر قائلاً: "ما العَلاقةُ بين أخذِ منديلٍ من جَيْبِ رجلٍ عجوزٍ وأن يغدُو المرءُ رجلاً عظيماً؟"

بقيَ أوليڤر في تلك الغرفةِ أياماً عديدة. وكان يُشاركُ في بعضِ الأحيانِ بالألعابِ التي كان قد شاهدَها في ذلك الصباحِ الأوّلِ من وجودِه في هذا المكان. ولكنّه سُرعان ما شعرَ بالضَّجر.

وفي أحدِ الأيام، توجّه إلى فاغين سائلاً: "هل يُمكِنُني الخُروج، يا سيدي؟ أرغَبُ في تنشُّقِ بعضَ الهواءِ النقيّ، وليس عندي أيُّ شيءٍ أقومُ به".

"أجل، يا عزيزي. يُمكنكَ الخروجُ مع دودجر وتشارلي اليوم"، أجابَ فاغين مبتسِماً في قرارةِ نفسِه.

بعد أن مَشَى الفتيانُ في الشارعِ لبعضِ الوقت، بدأ دودجر المحتالُ يتصرَّفُ بغرَابة. فحملَ أوليڤر وتشارلي على السيرِ بجانبه بشكلٍ متراصّ، ووضعَ إصبعَه على شفتَيْه وأشار إلى رجلٍ عجوزٍ يقفُ عند كِشكِ للكُتُب. عندئذٍ انسلّ دودجر وتشارلي وراءَ الرجل خِلسةً. فتبعهما أوليڤر لشعورِه بالإرباك. وكم كان اشمئزازُه كبيراً لدى رُؤيَةِ دودجر المحتال يُقحِمُ يدَه في جيبِ السيّد ويَسحبُ منديلاً حريرياً، ثمّ يهرُبُ مع تشارلي بأقصَى سرعة.

"الآن أعرِفُ لماذا يملِكُ فاغين كلَّ هذه الساعاتِ والمناديلِ والجواهر!"، قال أوليڤر لاهثاً.

جمُدَ أوليڤر في مكانِه على الفور محدّقاً برُعْبٍ شديد. فعلى مقرُبةٍ منه كان يقفُ رجلٌ طويلُ القامةِ ملتحِفاً بمِعطفٍ فضفاضٍ وقد وقع نظرُه على أوليڤر. وكان هو أيضاً يلهَثُ رعباً.

الفصل الثالث

مُختطَف

أخيراً، أخذ أوليڤر يركُض. وفي الوقتِ نفسِه، وضعَ السيدُ يدَه على جَيْبِه، واكتشف فقدانَ المنديل، ورأى أوليڤر.

"توقّفْ أيّها اللصّ!"، صرخ الرجُل.

وانضمّ الجميعُ إلى حَملةِ المطاردةِ، حتى دودجر المحتال وتشارلي. ضربَ أحدُهم أوليڤر فسقط داخلَ كومةٍ من الغبار. وعندئذٍ، أمسكَ به شُرطيٌّ من قَبَّتِه.

"لم أكُنْ أنا الفاعِلُ يا سيدي! إنّهما هذان الشخصان"، صرخ أوليڤر.

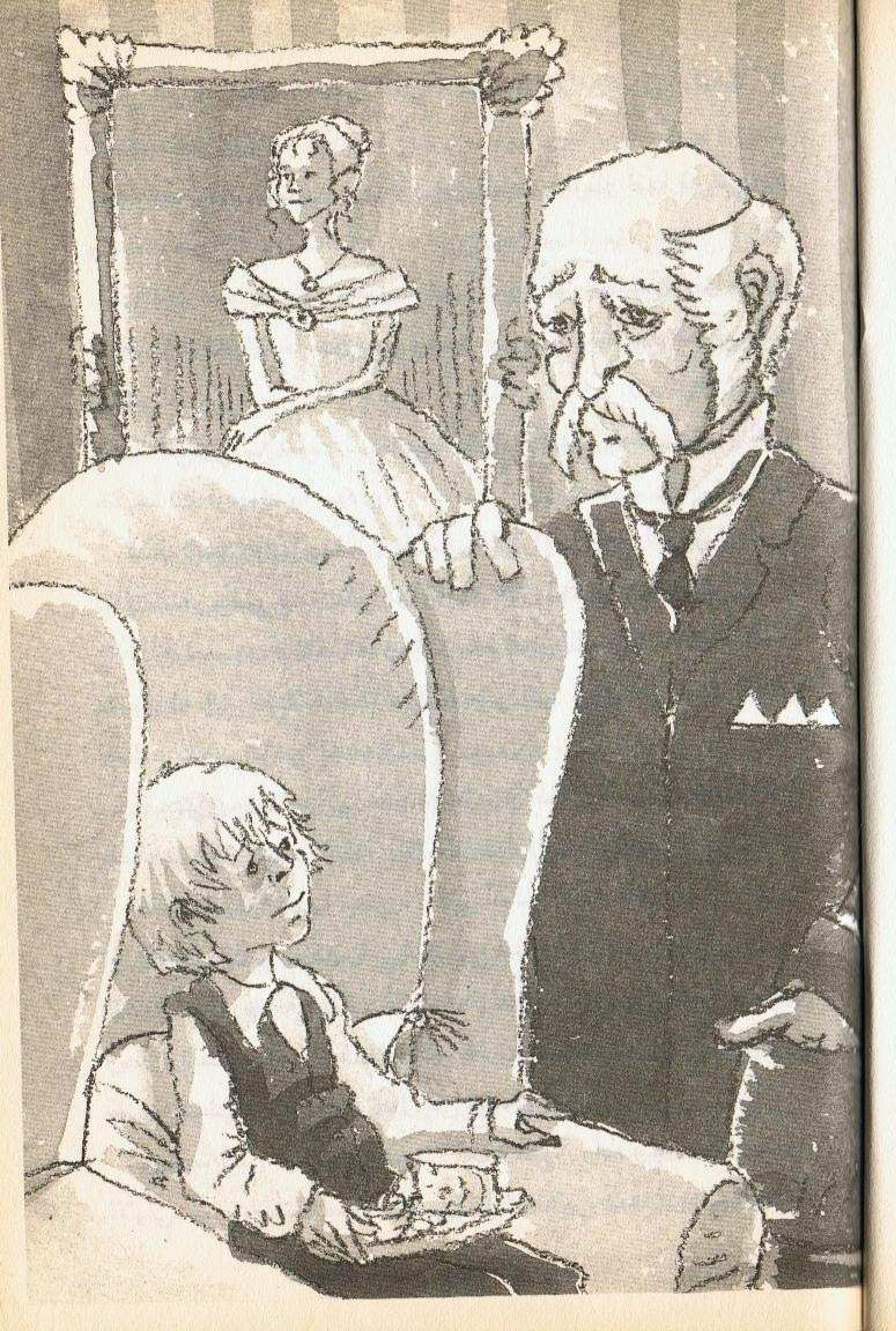
ولكن دودجر المحتال وتشارلي كانا قد فرّا. جرّ الشرطيُّ أوليڤر إلى مركزِ الشرطةِ وتبعَهما الرجلُ العجوز.

"اسمي السيد براوْنلو"، قال الرجلُ العجوزُ للضابطِ أمامَ مكتَبه. "لستُ واثقاً الآن ممّا إذا كان هذا الفتى قد أخذَ منْديلي. لا أريدُك أن تتّهمَه. إنّه يبدو ولداً سقيماً ومثيراً للشفقة".

حدّقَ الرَّجُلُ بأوليڤر بإمعانٍ وقالَ في نفسِه: "هناك أمرٌ ما في شأنِ وجهِ ذلك الفتى... إنّه يشبهُ... لا، لا أستطيع أن أتذكَّرَ من هُو".

جُرَّ أوليڤر المسكينُ إلى إحدى زنزاناتِ السجنِ وقد أُصيبَ بالدُّوارِ بسببِ الخوف. فجأةً، دخل رجلٌ إلى المركزِ مسرعاً.

"توقّفوا"، صرخَ الرجل. "لا تأخُذوه! أنا صاحبُ كِشكَ الكُتب. أُولئكَ الفِتيانُ الآخرون هم الذين ارتكبوا السَرِقة".



فصرخَ ضابطُ الشُرطة: "أطلِقوا سَراحَ الفتى! أُخْلوا المكتب".

عندما خرجَ السيد بْرَاوْنلُو، وجدَ أوليڤر تويست الصغيرَ ممدّداً على الرصيفِ ووجهُه أبيض كأنه ميْت. فاستدعَى عربةً نقلَتْهُما إلى مَنزلٍ مُنيفٍ في شارعٍ هادئٍ شمالي لندن. وهناك، نامَ أوليڤر طيلةَ أيامٍ عدَّة. وأخيراً أصبحَ مُعافَى بما يكفي للنزولِ إلى الدوْرِ السفلي. وفيما كان جالساً يأكلُ قربَ المدفأة، راح يحدِّقُ في لَوْحةٍ معلّقةٍ على الحائطِ المقابلِ لكُرْسِيه وقال:

"يا له من وَجْهٍ جميل!"، وأضاف: "من هي تلك السيدة؟"

فأجابتِ السيدةُ بَدْوين مدبِّرةُ المنزل: "لا أحدَ ممّن تعرفه أو أعرفُه".

"إنَّها جميلةٌ جداً. تبدو عَيْناها وكأنّهما تُحدِّقانِ كأنّها على قيدِ الحياةِ وتريد أن تتكلَّمَ معي"، قال أوليڤر.

فصرختِ السيدةُ بدوين: "لا تَقلْ أموراً غريبةً كهذه أيها الفتى! فلا زِلْتَ ضعيفاً وعصبيَّ المزاجِ بعد مرضِك. سأُدير كُرسِيَّك كي لا تتمكّنَ من رُؤيتِها".

دخل السيّد براوْنلو الغرفةَ وقال: "أنا سعيدٌ لرؤيتِك أفضلَ حالاً بكثيرٍ أيها الشاب".

وحدّقَ بأوليڤر لبرهةٍ من الزمن، ومن ثمّ باللوحةِ الموجودةِ وراءَ الفتى وقال:

"يا للعَجَب!"، وأضاف: "لهما العينان نفسيهما، والأنفُ والفم، حتى أن تعبيرَ الوجهِ هو نفسه!"

بدأ قلبُ أوليڤر يخفِقُ بسُرعةٍ أكبر بالرغمِ من أنه كان يجهَلُ السبب، وأصيبَ بالإغماء.

في اليوم التالي، اختفتِ اللوحةُ من مكانِها. فصرخَ أوليڤر: "لِمَ نَقَلوها؟ لقد أحبَبْتُها".

فقالَتْ له السيدةُ بدوين: "لقد ظنَّ السيّد براونلو أنها قد تُزعِجُك وتَمنَعُك من التحسّنِ ثانيةً".

وكانت أياماً سعيدةً بالنسبةِ إلى أوليڤر لأنَّ الجميعَ كانوا بغايةِ اللطفِ والرّقة. وبعد أسبوعٍ من وصولِه، أرسلَ السيد براونلو في طلبِ أوليڤر.

"لا تُبعِدْني يا سيدي!"، توسَّلَ أوليڤر. "دَعْني أبقى هنا وأكونَ خادماً لك. أرجوكَ يا سيدي".

فقالَ السيد براونلو متأثّراً بكلماتِ أوليڤر: "يا وَلَدي العزيز، لن أقومَ بذلك. أشعُر بأنَّني قادرٌ على الوثوقِ بك. الآن أخبرني عن نفسِك".

بدأ أوليڤر يروي قِصّته. وما إن بلَغ الجُزءَ المتعلّقَ باقتيادِ السيد بامبل له إلى إصلاحيّةِ الأحداثِ حتى أتى رجلٌ من كِشكِ الكتبِ لتسليمِ بعضِ الكتبِ الجديدة.

"الحقِي به بسرعةٍ يا سيّدة بدوين!" نادى السيد براونلو لدى سَماعِها تُغلق البابَ ثانيةً. "لقد نَسِيت أن أدفعَ له ثَمنها!"

فقال أوليڤر: "آه يا سيدي، دعني أتولّى الأمرَ عنك".

أخذَ أوليڤر يركُضُ في الشارعِ مفكّراً بمَدَى سعادتِه عندما اقتربَتْ منه شابةٌ وألقتْ بذراعَيها حولَ عُنقِه، وصاحَتْ مناديةً رجلاً واقِفاً في أحدِ المداخل: "لقد عثرتُ عليه يا بيل! يا لك من فتى سيّىءِ السلوكِ يا أوليڤر! تعالَ إلى المنزلِ الآن".

وبينما كان أوليڤر يكافحُ للإفلاتِ منها، رأى وجهَ الفتاةِ للمرةِ الأولى، وصرخ متفاجئاً: "نانسي! ماذا تفعلين هنا؟ دَعِيني أذهب!"

اقتربَ بيل من أوليڤر يتبعُه كلبُه المسمّى 'عين الثور'، وسدّد ضربةً عنيفةً إلى رأسه. فتوقّف أوليڤر عن الكفاحِ وقد روّعته زمجرةُ الكلبِ وأضعفَه المرض. فتركَ نفسَهُ ينقادُ وراءَ نانسي وبيل عبر الشوارعِ حتى بلغوا أحدَ المنازل.

"ها هو ذا يا سيد فاغين!"، صرخَ فتًى من الداخل.

وعندما وجدَ أوليڤر نفسَه ثانيةً في تلك الغرفةِ القذرة، ركضَ نحو البابِ صارخاً طَلَباً للنجدة. فتبعَهُ فاغين ودودجر المحتال، وبدأ بيل سايكس بِفكِ رِباطِ 'عين الثور'، ولكن نانسي أمسكَتْ بذراعِه بإحكامٍ وصاحت:

"اكبَحْ جِماحَ الكلب يا بيل"، وأضافت: "سيمزِّقُ الفتى إرباً".

فأجابَ سايكس: "هذا الأمرُ يلائمُهُ تماماً! الآن دعيني وشأني!"

"لن أدعَ الكلب يُمزِّقُ هذا الولدَ إرباً!"، زَعَقَتْ نانسي باذِلةً كلَّ جُهدِها لِرَدْعِه. فطرحَ سايكس نانسي أرضاً، وفي الوقتِ عينِه عاد فاغين ودودجر المحتال ومعهما أوليڤر.

"إذاً لقد أردْتَ الفِرار، أليس كذلك يا عزيزي؟" قال فاغين، وهو يلتقطُ هَراوةً خشبيّةً من الموقد، "سنجد العِلاجَ المناسبَ لهذا الأمرِ قريباً، يا فتَاي".

ثم ضربَهُ بشدةٍ. فركضَتْ نانسي في اتجاهِه، وانتزعتِ الهَراوةَ من يدِه ورمَتْها في النارِ بقوةٍ لدرجةِ أن بعضَ الجمراتِ الساخنةِ تبعثَرَتْ في أرجاءِ الغرفة.

"ليتني متُّ بطلقِ ناري قبل أن أُجبَرَ على إعادتِه إلى هنا"، صرخت نانسي.

ثم سقطت أرضاً وأجْهَشَتْ بالبكاء.

الفصل الرابع

خطّة جهنّمية

بعد أيّامٍ قليلة، وصلَ السيِّد بامبل إلى لندن في عمل. وكان قد بدأ بتناول طعامِ الفطورِ في حانتِه عندما أثار هذا الإعلانُ في الصّحيفةِ انتباهَه:

مكافأةُ خمسةِ جُنَيْهاتٍ
مُقابلَ إعادةِ أوليڤر تويست

تُدفعُ هذه المكافأةُ لأيِ شخصٍ يمُكنهُ توفيرَ معلوماتٍ تؤدّي إلى عودتِه سالماً أو لأي شخصٍ يمُكنهُ توفيرَ معلوماتٍ عن حياةِ هذا الفتى. وهو فتى قصيرُ القامةِ ونحيلٌ ويرتدي قبعةً بنّيّة.

السيد براونلو

توجّه السيد بامبلُ مباشرةً إلى العنوانِ المحدَّد. فاستقبله السيد براونلو بحرارةٍ، وسأله: "هل تعلمُ مكانَ هذا الفتى المسكينِ الآن؟"

فهزّ رأسَه بالنفي.

"حسناً، ما هي معلوماتُك؟"، صرخَ السيد براونلو.

قال السيدُ بامبل: "إنه يتيمٌ نشأ في الإصلاحيّة، وكان دائماً ولداً عاقّاً".

"ظننْتُ أنني قادرٌ على الوثوقِ به"، قال السيد براونلو بكآبة.

وعندما غادرَ السيد بامبل ممُسكاً مكافأتَه بإحكام، أطْلعَ السيّد براونلو السيدةَ بدوين على ما بلغَهُ من معلومات، فقالت له:

"لن أصدّقَ ذلك أبداً يا سيدي"، وأضافت: "لقد كان ولداً مَحْبوباً ولطيفاً ومُعترفاً بالجميل".

فصرخَ السيد براونلو: "اسكُتي! لا تُسْمِعِيني اسمَ ذلك الفتى مجدّداً!"

لم يكن السيد بامبل الشخصَ الوحيدَ الذي دعا أوليڤر عاقًّا ذلك اليوم. فما إن خرج الفتيان الآخرون للعملِ حتى أمسكَ به فاغين من ذراعِهِ وتَمْتَم بغضَب.

"لقد آويتُك عندما كنت جائعاً". كان لديّ فتى آخرُ عاقًّا مثلك ذهب لتبليغِ الشرطة. وقد شُنِق، يا أوليڤر. آملُ ألاّ تتعرّضَ للأمرِ نفسِه يا فتاي العزيز".

لدى سَماعِ أوليڤر كلامَ فاغين، سرى الدمُ في عروقه وبدأت ذراعاهُ وساقاهُ ترتجفان. فربَّتَ فاغين على رأسِ أوليڤر قائلاً: "إذا بقيتَ هادئاً وعملت بكدٍّ سنُصْبِحُ صديقَيْن حقيقيَّيْن".

التقطَ فاغين قبّعتَه وسُترتَه وخرجَ مقفلاً البابَ وراءَه. ولم يرَ أوليڤر أحداً منذ الصباحِ وحتى منتصفِ الليل. بهذه الطريقة، استطاع فاغين أن يجعلَ أوليڤر يؤْثِرُ رفقةَ اللصوصِ على أفكارِه الحزينةِ الخاصة.

وفي إحدى الأمسياتِ الباردةِ والرطبَةِ، أقفلَ فاغين أزرارَ سترتِه وخرج إلى الشارعِ الموحِل. وكان الضبابُ الرقيقُ الأسودُ يعمُّ أرجاءَ المكان. مَشَى فاغين حتى وَصَل إلى شبكَةٍ معقّدةٍ من الشوارعِ الضيّقةِ ودخل في أحدِ المنازل فيها.

"مَنِ الطارق؟"، صرخَ صوتٌ في الداخل.

أجاب فاغين: "أنا بمُفردِي، يا بيل، أنا بمفردي".



دخل فاغين، وكانت نانسي هناك أيضاً تُدفّئ قدميْها قربَ النار. فجلس بالقربِ من بيل سايكس.

"ماذا عن ذلك المَنزِلِ يا بيل؟ متى سنقومُ بسَرِقةِ كلِّ تلك الأواني الفضيّةِ الجميلة؟" همَسَ فاغين.

قال سايكس بحِدّة: "لن نسرِقَه. فلا أحدَ من الخدمِ هناك سيساعدنا". وسأل: "هل تدفعُ لي خمسين جنيهاً إضافياً لاقتحامِه؟ سوف أكونُ بحاجةٍ إلى فتًى صغير".

أومأ فاغين برأسَهُ موافقاً وألقى نظرةً سريعة على نانسي.

"أحضِري لي إبريقاً من الجعة، يا نانسي"، قال سايكس.

أجابت نانسي: "لا تحتاج إلى أيِّ شراب. أعلمُ ما يدورُ في ذِهنِ فاغين. هيا، أخبر بيل عن أوليڤر".

"ها! أنت بارعةٌ يا عزيزتي. هذا صحيح، كنت سأتكلّم عن الفتى. حان الوقتُ لكي يبدأ بكسْبِ قوته. سيقوم بأيِّ شيءٍ لأجلِك يا بيل إن أنت أدخلْتَ الرُعبَ إلى قلبِه".

"إن لم يقمْ بما أطلبُ منه، لن تراه على قيْدِ الحياةِ ثانيةً"، أجابَ سايكس. ثم سحب مُخْلاً ولوّحَ به مهدّداً، وصاح قائلاً: "أحضِرْهُ ليلةَ الغد".

الفصل الخامس

السَرِقة

عندما استيْقظ أوليڤر في الصباح، تَفاجأ برُؤيةِ زوجٍ جديدٍ من الأحذيةِ بجانبِ سَريرِه.

"هل تَسمَحُ لي بالخروج؟" سأل أوليڤر فاغين.

أجابه الرجُلُ العجوز: "أجل، ستذهبُ إلى منزلِ بيل سايكس هذه الليلة".

"لماذا؟"، سأل أوليڤر.

قال فاغين: "انتظِرْ حتى يُطلِعُكَ هو على الأمر".

في الساعةِ الحاديةِ عشرة من تلك الليلة، جاءَتْ نانسي وراء أوليڤر وكانت شاحبةً جداً، فأدركَ أوليڤر أنه يملِكُ بعضَ التأثيرِ في مشاعرِها. ربما سمحَت له بالفِرار! ولكن الفتاة حَزِرت أفكارَه. فأشارَتْ إلى الكَدْماتِ على عُنقِها وذراعَيْها، وقالت له: "وعدتُ بيل بأنّك سترافِقُني بهدوءٍ، وإلا فإنّك ستتعرّض للأذى، وأنا كذلك".

وكانت عربةٌ تنتظرُهما خارجاً فأقلّتْهُما بسرعةٍ عبرَ الشوارعِ المظلمةِ إلى منزلِ سايكس. وعندما وصلا، نزعَ سايكس قبّعةَ أوليڤر وأجلسَهُ إلى الطاولة. ثم الْتَقطَ مسدّسَه وسدّدَه إلى جبينِ أوليڤر، وقال:

"إذا تفوّهْتَ بكلمةٍ واحدةٍ عندما نكونُ خارجاً يومَ غد، إلا متى تكلّمتُ معك، فإنني سأفجّرُ دماغَك. الآن، دعنا نأخذ غفوةً قبل الانطلاق".

تمدّدَ أوليڤر مُستيقظاً مدةً طويلةً من الزمنِ وهو يراقِبُ نانسي جالسةً قربَ النار. وما لبثَ أن استسْلَم للنومِ وقد أعياهُ القلق. كان الصباحُ قد طلعَ تقريباً عندما أيقظَه المطرُ المتساقِطُ على النافذة. طلبَ منه سايكس الاستعجالَ للخروج. ثم مشيا طيلةَ اليومِ حتى بلغا منزِلاً قديماً في الريف. دفعَ سايكس أوليڤر عبر الباب، ودخلا إلى غرفةٍ مظلمةٍ ومنخفضة.

"هذا هو الفتى"، قال سايكس لصديقِه توبي كراكيت.

كشَّرَ كراكيت وسكبَ جبناً وماءً في ثلاثةِ أكواب، وقال: "نخبَ نجاحِنا! اشربْ أيّها الفتى".

ولِشدّةِ رُعبِه، شربَ أوليڤر بسرعةٍ كبيرةٍ واستغرقَ في نومٍ عميق. وفي الساعةِ الواحدةِ والنصفِ صباحاً، أيقظهُ كراكيت. ثم غطّى وسايكس رأسَيهما وأكتافَهما بشالَين كبيرَين قاتمَين، ووضعا معطفَيهما، والتقطا مسدّسَيهما وسحبا أوليڤر إلى خارجِ المنزل.

كان الظلامُ دامِساً والضبابُ أكثرَ كثافة من قبل. فمشوا طيلة نصفِ ساعةٍ تقريباً حتى توقّفوا قُبالةَ منزلٍ كبيرٍ مُحاطٍ بجدار. تسلّق كراكيت بسرعةٍ إلى الأعلى، ثمّ سحبَ أوليڤر خلفَه. كاد الفتى المسكينُ يَجِنّ لشدةِ ذُعْرِه عندما أدرك ماذا كان يحدث. "سَرِقةٌ وقتل!" قال لاهثاً من الرعب. "لهذا السبب أنا هنا!"

لم تكُن ساقاهُ المرتَجفتان تحمِلانَهُ عندما جُرَّ في اتجاهِ المنزل، وسقطَ على الأرض.

"انهَضْ! انهَضْ وإلا فجّرتُ دِماغَك فوقَ العشب!" همسَ سايكس، وهو يرتعدُ من الغضب.

صرخَ أوليڤر: "آه، أرجوك، دعني أذهب. دعني أهرُبُ وأموتُ في الحقل! أرجوك لا تجعلْني أسرق".

ضغطَ سايكس مسدّسَه على رأسِ أوليڤر، ولكن كراكيت ضربَ المُسدّسَ بيدِه وأسقطَه على الأرض.

"هش!"، قال كراكيت. "ولكن إذا قُلتَ كلمةً أخرى أيها الفتى، سأقتُلُك بنفسي. والآن، يا بيل، ادفعْ مِصراعَ النافذةِ وافتحْه".

التقطَ سايكس مُخلَه وفتحَ مِصراعَ نافذةٍ صغيرةٍ في الجهةِ الخلفيّةِ من المنزل. وكانت واسعةً تماماً بما يكفي لدخول فتًى صغيرٍ مثل أوليڤر.

همسَ سايكس وهو يسحَبُ مِصباحاً من جَيبه: "اسمع الآن. سوف أرفعُك لكي تدخُلَ عبرَ النافذة. خُذْ هذا المِصباحَ واصعَدْ بهُدوءٍ إلى الدَورِ العُلوي، واتجه إلى الرَّدْهة. ثم توجَّهْ نحو البابِ وافتَحْه لنا".

دفَع سايكس أوليڤر عبر النافذةِ وهمسَ: "إذا توقفتَ سأُطلِقُ عليك النار! اذهبِ الآن!"

اتجهَ أوليڤر ببطءٍ نحو درجاتِ السلَّم.

"عُد أدراجَك!" صرخَ سايكس فجأةً.

أُصيبَ أوليڤر بالرُعبِ من جرّاء صوتِ سايكس المفاجئ، وأسقطَ مِصباحَه وجَمدَ في مكانِه على الفور. ثم ظهر ضوءٌ في أعلى السلّم ولاحَ رجلانِ مروّعانِ في المدخل. ثم سُمِعَ صوتُ طَلْقٍ ناريٍّ مدوٍّ ووميضُ ضوء، فتمايلَ أوليڤر إلى الوراءِ وسقط. وقبل أن يتبدَّدَ الدُخان، انحنى سايكس عبر النافذةِ وسحبَ أوليڤر في اتجاهِه. وسمع أوليڤر صوتَ طلقٍ ناريٍّ ثانٍ ورجالاً يصيحون، فانتابهُ شعورٌ باردٌ وفقَدَ وعيَه.

الفصل السادس

وجوهٌ عند النافذة

عِند الفجر، كان المطرُ ينهمرُ بغزارةٍ مُصطدِماً بإيقاعٍ سريعٍ ومتكررٍ بالشُجَيْراتِ التي تعرَّت من أوراقِها. ولكن أوليڤر لم يكُن يسمعُه. فقد كان ممدّداً في قَعْرِ قناةٍ ألقاهُ فيها سايكس عندما لاذ بالفِرار وكان مَغْمياً عليه وعاجِزاً.

أخيراً استيقظَ على صرخةِ ألم. نظرَ أوليڤر إلى ذراعِه اليسرى. وكانت مُدلاّةً إلى جانبِه ولا فائدةَ مرجوّةَ منها، ومغطاةً تقريباً بشالٍ ملطَّخٍ بالدم. وكان ضعيفاً لدرجةِ أنه لم يتمكّنْ من الجلوسِ إلا بصعوبة.

فقال في نفسِه: "تركوني هنا لكي أموت. يجب أن أحصُلَ على المساعدة".

نهضَ أوليڤر ونجحَ في بلوغِ الطريقِ مترنّحاً. وكان المطرُ قد أخذ ينهمرُ بغزارةٍ أكبرَ، ممّا حال دون إصابتِه بالإغماءِ ثانيةً. فجرَّ نفسَه في اتجاهِ منزلٍ يحيطُ به جدارٌ مرتفِع. وبينما كان يقتربُ منه، تذكّر أنه كان في نفس المكانِ أثناءَ الليل. وكان خائفاً جداً لدرجةِ أنَّهُ حاولَ الفِرار، ولكنه كان بالكادِ قادراً على الوقوف. وبدلاً من ذلك، عبرَ المرجَ متمايلاً، وقرع البابَ بوَهَنٍ شديدٍ يلامس حدَّ الإغماءِ وارتخى واقعاً على الأرض.

في هذه اللحظةِ بالذات، كان الخدمُ في المطبخِ يتحدّثون عن مُحاولةِ السَرقة. وبينما كانوا يفتحونَ البابَ ببطءٍ وحذَر، لم يروا

سوى أوليڤر تويست الصغيرِ والمسكين، عاجزاً عن الكلامِ مرهَقاً، ينظر إليهم بعينَين متوسّلتَين. فأمسكَ به أحدُ الخدمِ بإحكام.

"ها هو السارقُ أيتها الآنسة روز! لقد أصَبْتُه يا آنستي"، صرخ الخادمُ من أعلى الدَوْرِ العلوي.

أجابتِ الآنسة روز: "هش، إنك تُخيفُ عمّتي بقدرِ ما يُخيفُها اللصوص. الآن خذِ الفتى المسكينَ إلى غُرفتِك وأرسِلْ في طلبِ طبيب".

نامَ أوليڤر حتى المساء. وعندما كان مستلقياً هناك، جاءتِ الآنسة روز وعمّتُها لرؤيتِه. فقد توقّعتا أن تَريا شخصاً وحشياً متهوّراً، ولكنهما رأتا عِوَضاً عن ذلك ولداً صغيراً أرهقَه الألم.

صرختِ السيدةُ العجوز: "ماذا يعني هذا الأمر؟ لا يُمكِنُ لهذا الولدِ المسكينِ أن يكونَ لصّاً أبداً!"

"أرجوكِ، لا تَدَعي الشُرطي يَرْمي ولداً مريضاً في السجن"، قالتِ الآنسة روز بتنهّداتٍ مثيرةٍ للشفقة.

أجابتِ السيدة مايلي: "يا عزيزتي، لن أدعَهُم يُلحِقون الأذى بشعرةٍ واحدةٍ من رأسِه. حتى أنّ الخادمَ ليس واثقاً بعد من أنّه الفتى الذي أطلقَ عليه النار. يا للولدِ المسكين! لقد جاء إلى هنا طلباً للمُساعدةِ وسوف يحصُل عليها".

بعد تلك الليلةِ الرهيبة، بقي أوليڤر طريحَ الفراش بسبب حُمّى لازمَته طيلةَ أسابيعَ عدةٍ، ولكنه بدأ يستعيدُ قِواه تدريجياً.

"شكراً للطافتِكما"، همسَ للسيّدة مايلي وروز ذارفاً الدمع. "عندما أُصبحُ أفضلَ حالاً سأفي بدَيْني لكُما. سأعمل بكدٍّ لكما. كنت ناكراً للجميلِ جداً حيال السيدِ اللطيفِ الذي اعتنى بي من قبل".

فقالتِ السيدة مايلي مبتسمة: "لم تتوقَّفْ عن الحديثِ عن السيد براونلو عندما كنت محموماً. عندما تصبحُ أفضلَ حالاً سنصطحِبُك لرؤيتِه".

إن الوعدَ الذي قطعَتْه السيّدةُ مايلي ساعدَ أوليڤر على التحسُّنِ بسرعة. وأخيراً، حلَّ اليومُ الذي كان فيه قادراً على مرافقتِها إلى منزلِ السيد براونلو. وكم كانت خيبةُ أملِه كبيرةً عندما قال لهما الخدمُ إن صديقَه العزيزَ رحلَ إلى خارجِ البلاد.

عندما بدأتْ أزهارُ الأشجارِ تتفتَّحُ وصارَ الهواءُ أكثرَ دفئاً، غادر أوليڤر للعيشِ في الريفِ مع السيدة مايلي وروز. كم كانت تلك الأيامُ خاليةً من الاضطرابات! ففي كلِّ صباحٍ، كان أوليڤر يذهبُ لزيارةِ سيِّدٍ عجوزٍ يُعلِّمُه القراءةَ والكتابة. وبعد الظهر، كان يمشي في الحديقةِ مع الآخرين. وعند الغروب، كانت روز تعزفُ على البيانو وتغنّي لهم. ومرّت ثلاثةُ أشهرٍ بسرعةٍ على هذا النحو السعيد.

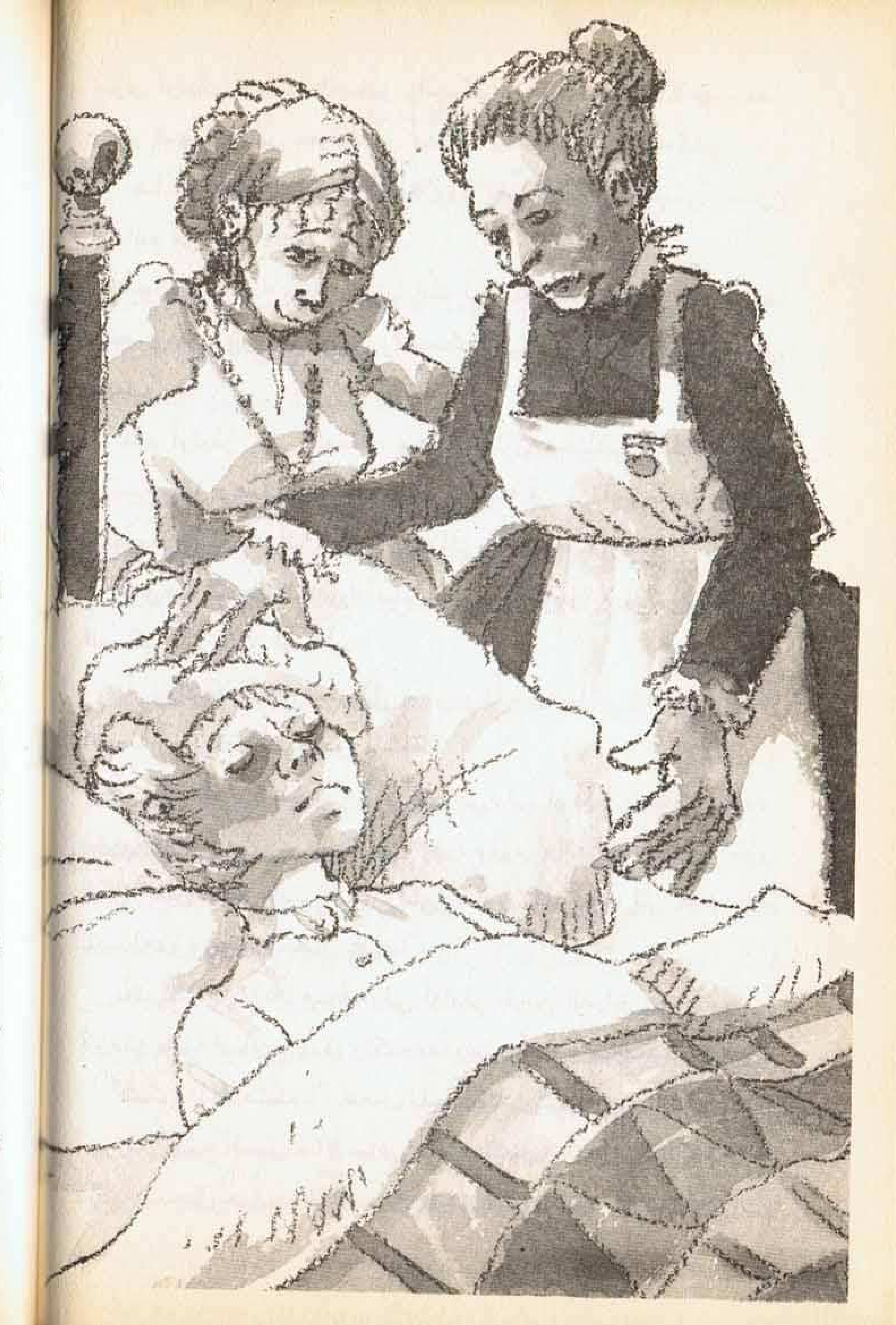
في أحدِ الأيام، كان أوليڤر يمشي في الخارجِ بمفردِه. وبينما كان يسلُكُ طريقاً فرعيًّا عبر فناءِ حانة، التقى برجلٍ طويلِ القامةِ يلتحِفُ معطفاً. فحدّق هذا الرجلُ بأوليفر متفاجئاً.

"ظنَنْتُ أنك قَضَيْتَ في قناة!" تمتَمَ الرجل، "ألن أتخلَّصَ منكَ يوماً؟"

فقال أوليڤر وقد أربكَتْه نظرةُ الرجلِ الوحشيّةِ وكلماتُه الغريبة: "أنا... أنا آسف يا سيّدي".

"اللعنةُ عليك!"، قال الرجل. "لو كُنتُ أملِكُ الشجاعةَ لَتحرّرتُ منك في ليلةٍ واحدة. ماذا تفعلُ هنا؟"

هزَّ الرجلُ قبضتَه وتقدَّمَ نحو أوليڤر. وبينما كان يرفعُ ذِراعَه



لضربِه، سقطَ على الأرضِ مرتجِفاً ومُزبداً من فمِه. فركضَ أوليڤر إلى الحانةِ طلباً للمساعدة. ثم عاد إلى الكوخِ بأقْصَى سرعةٍ ممكنةٍ وبقدْرِ ما كانت ساقاه قادرتَين على التحمّل.

وفي مساءِ اليومِ التالي، كان أوليڤر مشغولاً بالقراءةِ في غُرفتِه الصغيرةِ في الجهةِ الخلفيّةِ من المنزل. وبينما كان يقرأ، بدأ يشعرُ بالنُعاسِ والشمسُ ترسِلُ أشعّتَها الأخيرة، وأغمضَ عينَيه. فجأةً، همسَ صوتٌ يقول: "إنه هو". فاستيقظ أوليڤر مذعوراً وألقى نظرةً سريعةً على النافذة. هناك، كان فاغين يقِفُ على مسافةٍ قريبةٍ منه لدرجةِ أنه كان قادِراً على لمسِه لو أمكنَه ذلك. كانت عيناه تُمعِنان النظرَ بالغرفةِ إلى أن التقتا بعينَيّ أوليڤر.

وبجانبِه، كان يقف الرجلُ الطويلُ القامةِ الذي كان قد التقى به خارجَ الحانة، وكان وجهُه شاحِباً من الغضبِ أو الخوف.



الفصلُ السابع

المُدلاّة والخاتم

كان السيد بامبل جالساً في رَدهةِ إصلاحيّةِ الأحداث.

"هل ستجلِس هُناك غاطّاً في النومِ طوالَ اليوم؟" صاحَتْ زوجتُه. "انهَضْ! وابتعِدْ عن طريقي!"

جابَ السيِّدُ بامبل الشوارعَ ذَهاباً وإيّاباً حزيناً. ثمّ قرَّر أن يتناولَ الشراب في إحدى الحاناتِ التي مرّ بها. وفيما هو يدخلُ إلى الحانة، لاحظَ رجلاً طويلَ القامة، أسودَ الشعر، يرتدي معطفاً طويلاً.

"لقد رأيتُك من قبل، على ما أعتقد؟"، قال هذا الرجلُ للسيِّد بامبل. "كُنتَ تعملُ لصالحِ الأبرشيّة. كُنتَ مسؤولاً عن الأيتام، أليس كذلك؟"

أجابَ السيد بامبل: "كنتُ كذلك إلى أن تزوّجتُ من القيِّمةِ على الإصلاحيّة. أنا أعملُ هناك الآن".

"جئتُ إلى هذه البلدةِ لمُلاقاتِك"، قال الغريب، "لقد وجدتَني بالصُدفة! أريد بعضَ المعلوماتِ منك. سأدفعُ لك جيداً. عُد بالذاكرةِ إلى الوراء - لِنَقُلْ - في فصلِ الشتاءِ قبل اثنَي عشرَ عاماً. كان الوقتُ ليلاً، وكان هناك امرأةٌ توشِك على ولادة فتىً. ذاك الذي ذهب للعملِ لدى صانعِ توابيت وفرّ إلى لندن".

صرخ السيد بامبل: "تعني أوليڤر تويست!"

"بالفعل"، قال الغريب. "الآن أريدُ معلوماتٍ عن الممرِّضةِ العجوزِ التي كانت هناك عندما وُلد".

فسأل السيد بامبل: "سالي؟ لقد ماتت في شتاءِ العامِ الماضي. ولكنّني أعرفُ امرأةً كانت برفقتِها عندما ماتت".

كتبَ الرجلُ على عجلٍ عنواناً على قطعةِ ورقٍ وأعطاها للسيِّد بامبل، وقال: "اصطحِبْها إلى هناك غداً عند التاسعة".

"عمَّن أسأل؟"، قال السيد بامبل.

أجاب الرجلُ وهو يبتعِد: "اسألْ عن مونكس!"

في مساءِ اليومِ التالي، اتجهَ السيّدُ والسيّدةُ بامبل إلى طاحونةٍ خربةٍ بالقربِ من النهر. فتحَ مونكس لهما باباً صغيراً، وقادهُما إلى الداخل.

"هذه هي المرأة، أليس كذلك؟"، سألَ مونكس، مُغلِقاً البابَ بإحكامٍ خلفهما.

فأجاب السيد بامبل: "هذه هي المرأة".

"وكانت برفقةِ الممرِّضةِ عندما ماتت. إنَّها تعلم شيئاً عن..."، بدأ الرجلُ حديثَه.

"... والدةِ أوليڤر تويست"، أكملتِ السيدة بامبل.

"ماذا قالت الوالدةُ قبل وفاتِها؟ هذا هو السؤالُ الأول"، قال مونكس.

فأجابَتِ السيدة بامبل: "لا، السؤالُ الأولُ هو - كم تساوي هذه المعلومات؟ أعطني خمسةً وعشرين جنيهاً وسوف أُخبِرُك. ليس قبل ذلك".

تردّدَ مونكس لبرهةٍ من الزمن، ثمّ وضَعَ النُقودَ المعدنيَّة على الطاولة.

"سالي سرقَتْ والدةَ أوليڤر. سرقَتْ أشياءَ من جُثمانِها"، قالت السيدة بامبل. "كان شيئاً ما توسّلتِ الوالدةُ إلى سالي لكي تُعطيه لطفلِها".

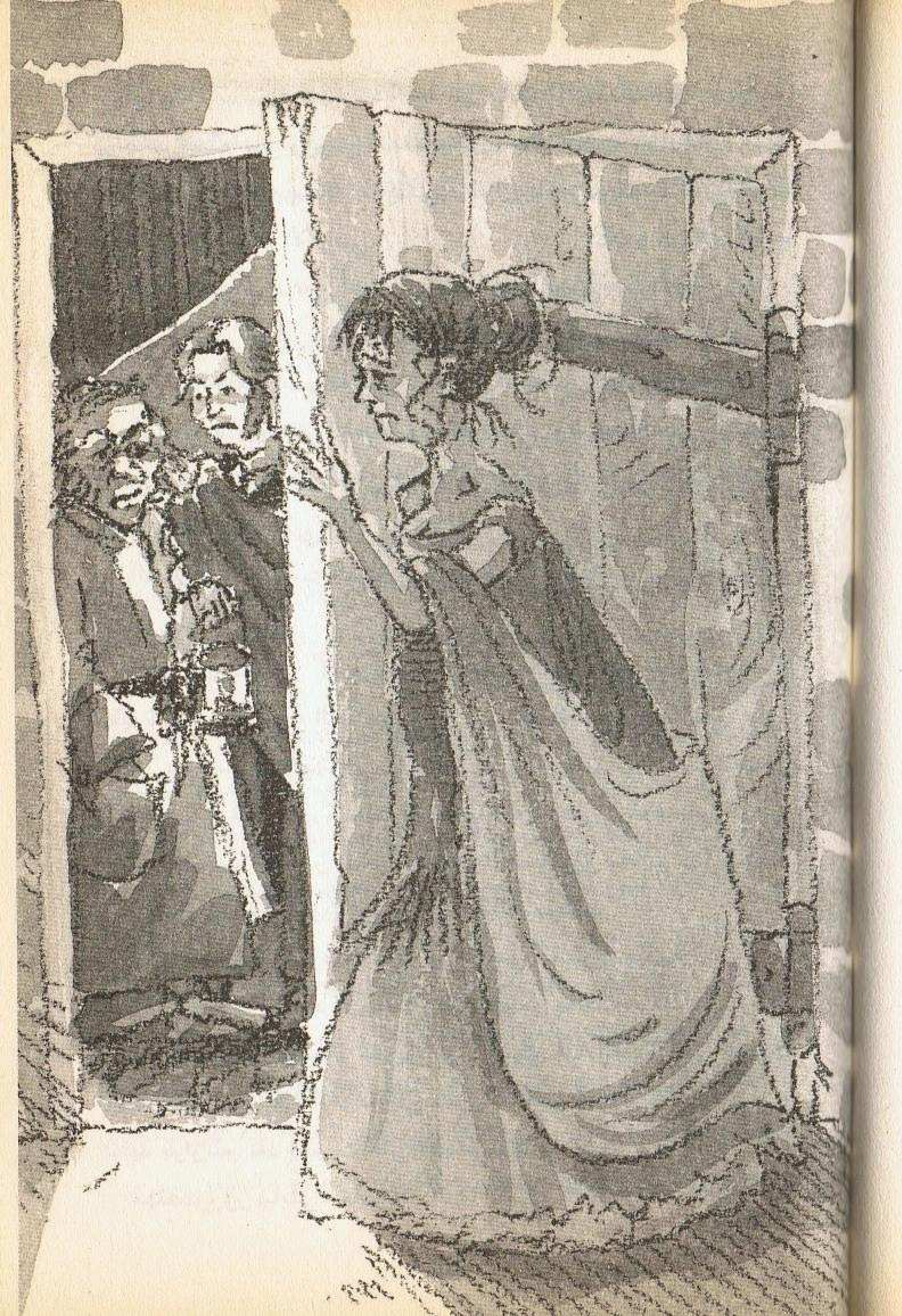
فسأل مونكس: "ما كان ذاك الشيء؟ وأين هو؟"

"هنا"، أجابتِ السيدة بامبل، مُلقيةً حقيبةً جلديّةً على الطاولة. "لقد أخبرَتْني سالي بأمرِها قبل وفاتِها".

فتحَ مونكس الحقيبةَ بانفعالٍ وبيدَين مرتجفتَين، وكان في داخلِها مدلاةٌ ذهبيّةٌ صغيرةٌ تحتوي على خُصلتَي شعرٍ وخاتمٍ ذهبيٍّ بسيطٍ نُقش عليه اسمُ أنياس. فوقَفَ ودفعَ الطاولةَ جانباً، ثمَّ سَحَبَ حلْقةً حديديّةً مثبَّتةً بالأرضِ وفتح باباً في الأرضيّة. فرأيا تحتَه نَهْراً متدفّقاً. التقطَ مونكس الحقيبةَ الجلديّة، وربطَها بكُرةٍ من الرصاصِ ورَماها في الماء.

"إذا التقيتما بي يوماً ما ثانيةً فأنتما لا تعرفاني"، قال مونكس. "والآن انصرِفا".





الفصل الثامن

حديث سرّي

في مساءِ اليومِ الذي تلا لِقاءَ مونكس بآل بامبل، ذهبَتْ نانسي إلى منزلِ فاغين وقالت له:

"بيل يريد مالَه لِقاءَ السرقة".

وبينما كانت تتكلَّم، سُمِعَ صَدَى صوتِ رجل. وبعد ثوانٍ قليلة، ظهرَ مونكس في المدخل.

"متى عُدتَ إلى لندن؟"، سأل فاغين.

أجاب مونكس: "منذ ساعتين".

"هل رأيتَه؟"، سأل فاغين.

قال مونكس ملقياً نظرة سريعةً إلى نانسي ومُلمِحاً إليها: "أريد أن أتكلّمَ معكِ سراً".

اصطحبَ فاغين مونكس إلى الدَّورِ العلوي. وبينما كان صَدَى صوتُ خطواتِهما لا يزال يتردَّدُ في أنحاءِ المنزل، خلعَتْ نانسي حذاءَها، وانسلّت خِلسةً إلى الدَّورِ العُلويِّ وأصغَتْ إلى الحديثِ من وراءِ الباب.

"الدليلُ الوحيدُ على هُويّةِ الفتى يرقُدُ في قَعْرِ النهر، والمرأةُ العجوزُ التي سَرَقَتْه تتعفّن في تابوتِها"، همَس مونكس. "الآن سوف أحصلُ على المالِ الذي يَخُصُّ شقيقي الصغيرَ أوليفر". وضَحِكَ ضِحْكةً قصيرةً وقال: "إنّه يقيم في فندقٍ في هايد بارك مع سيّدةٍ تُدعى مايلي! ولكنني لا أحتاجُ إليك لإعادته إليّ هذه المرة. لن يتمكّن أبداً من إثباتِ هُويّتِه الآن".

ارتعشَتْ نانسي لدى سَماعِها الكلماتِ القليلةِ الأخيرة. ونزلَتْ درجاتِ السلّمِ على رؤوسِ أصابعِها وارتدت حذاءها ثانيةً.

"كم أنْتِ شاحِبةٌ يا نانسي!"، قال فاغين عندما كان يقودُ مونكس إلى البابِ الأمامي.

فقالت بحدّة: "دعني أعود إلى سايكس. أعطني مالَه".

عدّ فاغين المالَ متحسّراً على كلِّ نقدٍ مَعْدِنيٍّ ووضَعَهُ في يدِ نانسي. فانطلقَتْ مُسرعةً عبر الشوارعِ المظلمةِ لاهثةً ومرتجِفَة. ما إن شَرب سايكس حتى الثُمالةِ واستغرقَ في نومٍ عميقٍ حتى اندفعَتْ نانسي على عجلٍ إلى خارجِ المنزل. فركضت حتى بلغتِ الفندقَ الصغيرَ المشرفَ على هايد بارك.

"انصرِفي!" صاحتِ المرأةُ الموجودةُ وراءَ المكتب، محدّقةً بثيابِ نانسي الرثّة.

فصرخَتْ نانسي: "ألا يوجدُ هنا أحدٌ مستعدٌّ لحملِ رسالةٍ لبائسةٍ فقيرةٍ مثلي؟" خرجَ الطاهي لدى سماعِه الضجيجَ وأشفَقَ على نانسي، وحمل رسالتها إلى الآنسة روز. وسرعانَ ما وجدتْ نانسي نفسَها في غرفةٍ صغيرةٍ حيث قَبَعت منتظرةً وهي ترتجِفُ من الرأسِ وحتى أخمَصِ القدمَين. أخيراً، دخلتِ الآنسةُ روز وقالت لها بلُطف:

"أخبريني لم ترغبينَ في رؤيتي"، قالت بلُطف.

وكان صوتُها حنوناً لدرجةِ أن نانسي انفجرَتْ باكيةً.

"آه يا سيدة، يا سيدة!" قالت وهي تُجهشُ بالبكاء، "أنا على وشكِ أن أضعَ حياتي وحياةَ آخرين بين يدَيك. أنا الفتاةُ التي حملَتْ أوليڤر الصغيرَ على العودةِ إلى منزلِ فاغين عندما كان يُقيمُ مع السيد براونلو. لقد أُجبرتُ على القيامِ بذلك".

فهتفت روز مايلي متعجّبةً: "أنتِ!"

"نعم أجل أنا"، أجابَتْ نانسي. "أنا تلكَ الفتاةُ الشريرةُ التي كلّمكِ عنها والتي تعيشُ وسطَ اللصوص. لقد سَرقتُ لحسابِ فاغين منذ أن كنتُ في الخامسةِ من عمري! كانت الأزقّةُ والقنواتُ المظلمةُ منزلي، وسوف أموتُ هناك".

فصرخَتْ روز: "أُشفِقُ عليك!"

"سوف يقتلونني إن علموا أنني هنا. هل تعرفينَ رجلاً يُدعى مونكس؟" قالت نانسي.

قالت روز: "لا، من هو؟"

"الشقيقُ الأكبرُ لأوليفر"، قالَتْ نانسي. "إنَّهُ شريرٌ مثل فاغين تماماً. لقد أمِلَ في أن يموتَ أوليڤر في الإصلاحيّة. ثمّ التَقى به مصادفةً في الشارعِ عندما تمّت سرقةُ السيد براونلو. فقد رأى شَبَه الفتى بوالدِهما، وكان يدفع لفاغين لقاءَ الاحتفاظِ بأوليفر لأنه وضيعٌ جداً لدرجةِ تعريضِه للقتل".

فسألَتْ روز مذعورةً: "تعريضُه للقتل؟ لماذا يتمنّى موتَ شقيقِه؟"

"لسَرقةِ ميراثِه"، قالت نانسي. "الليلةُ الماضيةُ، قدِم مونكس لرؤيةِ فاغين. وقال إنه رَمَى الدليلَ الوحيدَ لهويّةِ أوليڤر في قعرِ نهر". ألقتْ نانسي نظرةً عاجلةً إلى ما حولِها وهمست: "يجب أن أذهبَ الآن".

سألت روز: "لكن ماذا يمكِنُني أن أفعلَ بهذه المعلومات؟ وأين يُمكنني العُثورُ عليك إذا ما احتجت إليك؟"

"مساءَ كلِّ يومِ أحد، سأسيرُ على جسرِ لندن بين الساعةِ الحاديةَ عشرةَ ومنتصفِ الليل، إن بقيتُ على قيدِ الحياة"، قالت نانسي. واستدارتِ الفتاةُ الحزينةُ وغادرتِ الغرفةَ مُجهشةً بالبكاء.

الفصل التاسع

نانسي تدفع الثمن

بقيت رُوز جالسةً مدةً طويلةً بعد مغادرةِ نانسي.

"يجبُ عليَّ الاحتفاظُ بسرِّ نانسي"، قالَتْ في نفسِها، "لكن يجبُ عليَّ القيام بأمرٍ ما لمساعدةِ أوليڤر. سوف يحصُل على ما يَملِكه. هذا هو العَدل في النهاية!" وبعد ليلةٍ مؤرقةٍ، قرَّرتْ روز أن تكتُبَ رسالةً لابنِ السيدة مايلي. وبينما كانت تُحاولُ اختيارَ الكلماتِ المناسبة، دخل أوليڤر مسرعاً.

"رأيت السيّد براونلو يخرجُ من عَربة"، قال لاهثاً، "كنت أرتجِفُ كثيراً لدرجةِ أنني لم أتمكن حتى من التوجّه إليه. ماذا أفعل؟ ماذا أقول له؟"

قالت روز في نفسِها: "قد يكون السيّدُ براونلو الشخصَ الذي سيساعدني في هذه الظروف".

وفي غضونِ أقلَّ من خمس دقائق، كانت روز وأوليڤر في عربةٍ وهما في طريقِهما لرؤيتِه. دَخلت روز مباشرةً إلى مكتبِ السيّدِ العجوز وبدأت كلامها قائلة:

"جئتُ بخصوصِ صديقٍ شابٍّ لي - وصديقٍ لك".

قال السيد براونلو: "هل لي أن أسألَ عن اسمِه؟"

"أوليڤر تويست"، أجابَتْ روز.

فقال: "آنسة مايلي، إذا كان بإمكانِك إخباري أيَّ شيءٍ قد يُبدِّلُ رأيي بذلك الفتى، أخبريني به الآن".

"إنّه ولدٌ ذو صِفاتٍ نبيلةٍ وقلبٍ رقيق"، قالَتْ روز وقدِ احمرَّ وجهُها. "جئتُ لأخبِرَكَ بكلِّ الأمورِ الرهيبةِ التي حدثَتْ له مُنذ اختطافِه من مكانٍ ليس بعيداً عن منزِلك".

استمَعَ السيد براونلو بانتباهٍ شديد، وقال لدى انتهائِها: "الولدُ المسكين! أين هو الآن؟"

"إنه ينتظرُ في العربة"، قالت روز.

ودون أن يتفوَّهَ بأيٍّ كلمةٍ، أسرَعَ السيّد براونلو إلى الخارج، واصطحَبَ معه أوليڤر إلى غُرفتِه منادياً مدبّرةَ المنزلِ التي عانقَتْ أوليڤر وأجهشَتْ بالبكاءِ عالياً.

"ماذا سنفعلُ الآن؟" همسَتْ روز للسيدِ براونلو.

فأجابَ هامِساً: "يجبُ أن لا نكونَ متهوّرين. لسوءِ الحظِ لا دليلَ لدينا ضد مونكس. إنّه ليس لصاً كالباقين. سوف نسألُ نانسي عن المكانِ الذي يُمكننا إيجادُه فيه". وتوقَّفَ عن الكلامِ لمدةٍ وجيزةٍ ونظرَ إلى روز وقال: "ما زال هناك خمسةُ أيامٍ لمُلاقاةِ نانسي على جسرِ لندن. يجبُ أن لا يعرفَ أوليڤر بهذا الأمر - ليس بعد".

بمرورِ الأيام، غدَتْ نانسي نحيلةً وشاحِبةً من القلق. وعندما أعلنَتْ ساعةُ الكنيسةِ حلولَ الحاديةَ عشرةَ من مساءِ ذلك الأحدِ الأول، كان سايكس وفاغين مستغرقَيْن في حديثٍ بينما كانت نانسي تستعدّ للخروج.

"نانس!"، صرخَ سايكس، "أين تذهبين؟"

فأجابَتْ: "لستُ على ما يرام، أحتاجُ إلى تنشّقِ بعضِ الهواء".

"إذاً، ضعي رأسَكِ في مِروحةِ التهوئة"، قال سايكس.

مشَتْ نانسي في اتجاهِ الباب. فنهضَ سايكس وأقفلَه، ثمّ انتزع

قلنسوةَ نانسي ودفعها نحو كرسي. فقاومَتْ نانسي وتوسّلت حتى دقّتِ الساعةُ الثانيةُ عشرة. وأخيراً، أذِن لها بالرحيل.

"لقد سئِمتُ منه"، قال فاغين في نفسِه وهو يتّجه مُسرعاً إلى منزلِه. "أتساءَلُ عما إذا كانت قد وجدَتْ أصدقاءَ جُدُد؟ سأطلب من أحدِ الفتيانِ أن يتعقّبَها".

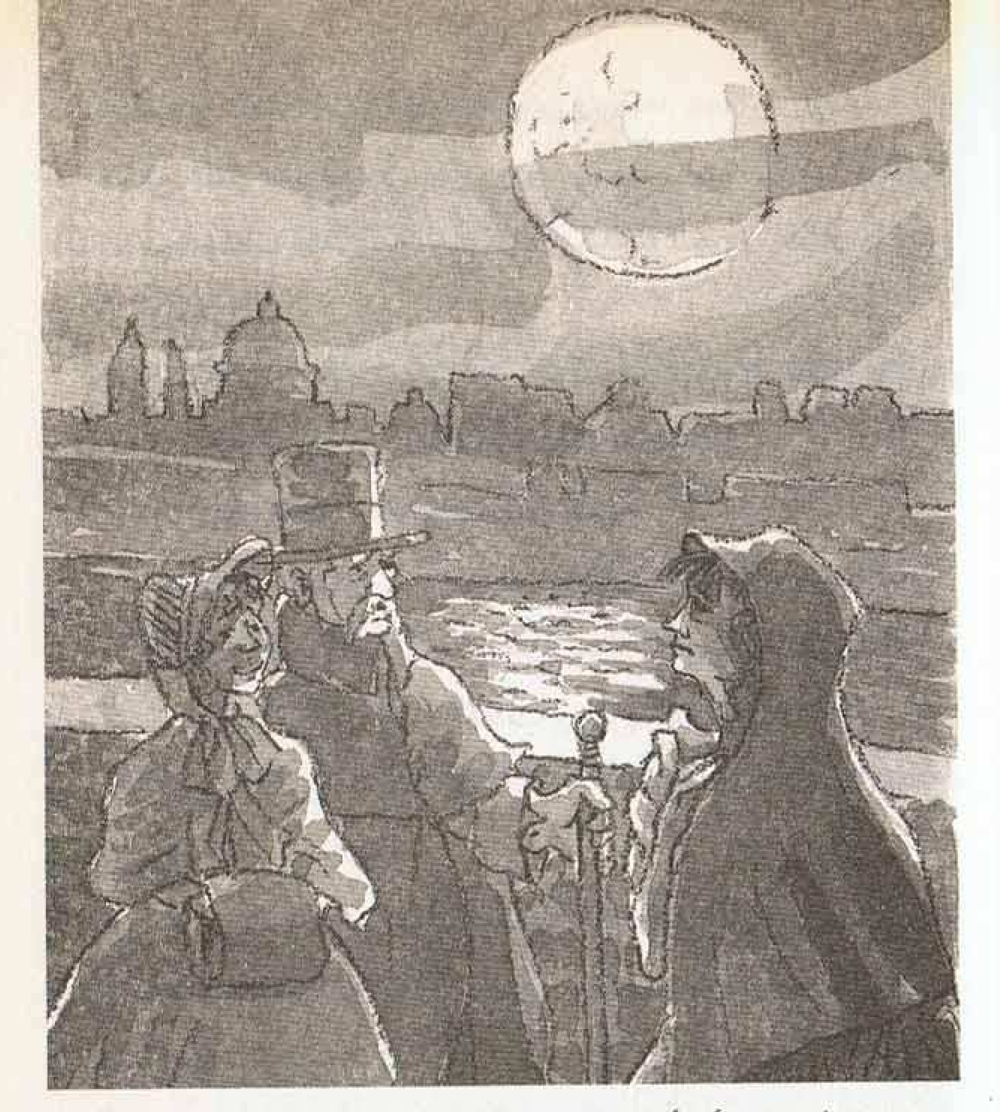
وفي يومِ الأحدِ التالي، كانت ساعةُ كنيسةِ القديسِ بولس تُعلنُ بدقّاتِها أنه قد بقيت خمسُ عشرةَ دقيقةً لحلولِ منتصفِ الليلِ في الوقت الذي كان يعبُر فيه شكلان بشريّان جسرَ لندن. كانت نانسي أحدُهما والآخرُ فتى ينسلّ خِلسةً في كنفِ الظلالِ الأكثرَ دكانة. وبعد دقيقتَين من منتصفِ الليل، وصلتِ الآنسة روز والسيد براونلو على متنِ عربة. فترجّلا وسارا في اتجاهِ نانسي. "ليس هنا!"، همست، "أنا خائفة. سننزِل إلى النهر".

لدى بلوغِهم حافةَ المياه، قال السيد براونلو: "الآن استمعي إليّ. يجبُ أن نطلبَ من مونكس إخبارَنا بالحقيقة. كيف سنعرفه؟"

"إنّه طويلُ القامة"، همست نانسي، "ويبدو أطولَ من الآخرين عندما يسير. عيناه غائرتان في رأسِه. وجهُه قاتمٌ كشعرِه وعينَيه. وهو في السادسةِ والعشرين من عمره تقريباً. غالباً ما تكون شفتاه ويداه ملطّخةً بقضماتِ أسنانِه بسببِ تعرّضِه لنوباتٍ مرَضيّة. وهو يرتدي على الدوامِ معطفاً واسعاً. على عُنقِه علامةٌ..."

"... كبيرةٌ حمراءُ كحرقٍ بسبب النارِ أو سائلٍ حار!" قال السيد براونلو بهدوء: "أظنّ أنني قد عرفته. لست واثقاً من ذلك. لا يحمل الاسمَ نفسَه".

مكثَ صامِتاً لبرهةٍ من الزمن، ثمّ نظر إلى نانسي بحَنَان.



"ماذا يُمكنني أن أقدّمَ لكِ في المقابل؟"، سأل السيد براونلو.

فقالت بحُزْن: "لا شيءَ يا سيدي. لا فائدةَ من أيِّ مساعدة. أكرهُ حياتي ولكنّني غيرُ قادرةٍ على التخلّي عنها الآن. عِمتُما مساءً!"

انتظرَ الفتى القابعُ في الظلالِ حتى مغادرةِ نانسي، ثمّ ركَضَ عائداً إلى منزلِ فاغين بأقْصى سُرعةٍ ممكنة وبقدرِ ما كانت ساقاه قادرتَين على التحمّل.

وبعد أيامٍ قليلة، وعندما كان الجميعُ نياماً، جلسَ فاغين في

ضوءِ شمعةٍ خافتة. كان وجهُه شاحباً وعيناه حمراوَين لدرجةِ أنه بدا كشبحٍ أكثرَ منه كرجل. كان يقضُمُ أظافرَ يده اليمنى الطويلةَ السوداءَ بأسنانِه القليلةِ المتبقّية. فقاطع الجَرسُ أفكارَه وتمتم قائلاً: "وأخيراً!"

دخل سايكس إلى الغُرفةِ ورمى رُزمةً على الطاولة. فأقفل عليها فاغين في خزانة، وجلس محدّقاً بصديقِه بصرامة.

"قُلْ ما عليك قولَه!" صرخَ سايكس أخيراً.

هزّ فاغين أحدَ الفتيانِ وأيقظه وأمره قائلاً: "أخبِرْه عن نانسي".

فكرّرَ الفتى النعسانُ كلَّ ما رأى وسَمِعَ على جسرِ لندن. فوثَبَ سايكس على قدمَيه من شدّةِ الغضبِ وخرجَ مسرعاً.

"لن تكونَ... تكونَ عنيفاً جداً معها، هلاّ فعلتَ يا بيل؟" صاحَ فاغين وقد خرج في أثَره.

لم يُجِبْ سايكس. فقد قطعَ المسافةَ راكضاً في طريقِه إلى المنزل، وأقفل البابَ خلفَه. ثمّ أيقظ نانسي، وأمسكَ برأسِها وحلقِها بيدٍ وسحبها من السرير.

"لا تقتُلْني يا بيل!"، توسّلَتْ نانسي. "لم أقُمْ بأيِّ شيءٍ يؤذيك".

استلّ سايكس مسدّسَه وأطلقَ على نانسي رصاصتين. فترنّحتْ وسَقطت مُضرَّجةً بالدماءِ تسيلُ من جرحٍ عميقٍ في جبينِها. وبذلت جهداً كبيراً للجُثُوِّ على رُكبتَيها وبدأت بالصلاة. وفي هذه الأثناء، التقط سايكس هَراوةً خشبيّةً وانهال عليها ضرباً حتى فارقتِ الحياة.

الفصل العاشر

الحقيقة أخيراً

بعد عدَّةِ أيامٍ، وفيما كانتِ الشُرطةُ تبحَثُ عن سايكس، جلس السيّدُ براونلو مع مونكس في مكتبِه.

"أنت الصديقُ الأقدمُ لوالدي"، صرخَ مونكس، "كيف تجرُؤُ على اختِطافي من الشارع! ماذا تريد مني؟"

فقال السيد براونلو: "عَرفتُك من وَصْفِ نانسي! لم تتبدّلْ كثيراً مُذْ كُنتَ ولداً. لديك شقيقٌ يدعى أوليفر. عندما هَمَسْتُ لك باسمِه منذ لحظةٍ في الشارع، كان الأمرُ كافياً لحمَلِك على المجيءِ معي إلى هنا".

"لا!"، صرخ مونكس، "لا شقيقَ لي!"

قال السيد براونلو بحُزْنٍ: "دَعْني أذكِّرُك بالماضي. كان والدُك، كما قُلتَ للتوِّ، صديقي الأعزّ. فقد أُجبِرَ على الزواجِ من والدتِك وكانا تعيسَين جداً. بعد انفصالِهما، التقى والدُك بأرملٍ يدعى السيد فليمنغ، وكان له ابنتان. فأُغْرِمَ بإحداهنّ - أنياس - ووعد بالزواجِ منها عندما يصبح حراً".

"ما عَلاقةُ هذا بي؟"، سأل مونكس.

قال السيد براونلو: "عندما ماتَ والدُكَ فجأةً، لم يترُكْ أيَّ وصيّة. فآلَتْ كلُّ أموالِه إليك وإلى شقيقِك. ولكنّه جاءَ لرؤيتي قبلَ وفاتِه مباشرةً".

"لم أكنْ أعرفُ ذلك"، قال مونكس باهتمامٍ مُفاجئ.

قال السيد براونلو: "حمل إليّ لوحةَ أنياس التي رسمها".

"هل هذا كلُّ شيء؟"، قال مونكس ساخِراً.

قال السيد براونلو: "التقيتُ بأوليفر صدفةً. بدا مشابهاً جداً لأنياس لدرجةِ أنني عَقدتُ العزمَ على معرفةِ المزيدِ عنه. وعندما اختفى، حاولتُ العثورَ عليك أملاً في أن تكونَ قادراً على إطلاعي على مكانِ وجودِه؛ حتى أنّني تبِعْتُك إلى خارجِ البلاد. لم أكن أعلمُ أنّك سرقتَه مني!"

"لا يُمكنك إثباتُ أيِّ شيء"، صاح مونكس.

قال السيد براونلو "أعرف كلَّ كلمةٍ قُلتَها لفاغين. لقد سمِعَتِ الظِلالُ على الجدارِ هَمَساتِكما وحملَتها إليّ. مسكينةٌ نانسي. إنها الآن مَيْتة وأنت تتحمَّلُ المسؤوليةَ إلى حدٍّ ما".

"لا، لا!"، صرخَ مونكس، "لا علاقةَ لي بهذا الأمر".

فسألَهُ السيد العجوز: "هل ستُخبِرُني الحقيقةَ إذاً وتُعطي أوليفر ميراثَه؟ لن يتطلَّبَ الأمرُ وقتاً طويلاً لإلقاءِ القبضِ على سايكس. فهو سيفضَحُ فاغين. وسيعرفُ الجميعُ كيف دفعتَ لفاغين للاحتفاظِ بالفتى".

ذَرَعَ مونكس المكانَ ذَهاباً وإيّاباً، وقد بدا الغضَبُ والشرُّ على وجهِه.

"أعِدُك بذلك"، قال أخيراً.

بعد أيامٍ قليلة، اصطحبتِ السيدة مايلي وروز أوليفر لرؤيةِ السيّد براونلو فقفز الفتى المسكينُ رُعباً عندما رأى الرجلَ الطويلَ القامةِ ملتحفاً معطفاً وجالساً في زاويةِ الغرفة.

"ذلكَ هو الرجلُ الذي التقَيْتُ بِهِ في الحانة!"، صرخَ أوليڤر، "والرجلُ الذي أمعَنَ النظرَ في غُرفتي مع فاغين".

قال السيّد براونلو بلطف: "إنّه أخوكَ غيرُ الشقيق، السيد إدوارد ليفورد المعروفُ بمونكس".

ووضَعَ ذراعَه حول أوليڤر وحدَّقَ بمونكس.

"الآن أخبِرْنا الحقيقةَ كما وعدْتَ!"، قال السيد براونلو.

نظرَ مونكس إلى الفتى المرتجفِ مقطِّبَ الجبين.

"قبل وفاةِ والدي، كتبَ وصيّةً يترك فيها معظمَ مالِه لأنياس وولدِها، أي لك أَنْتَ"، قال وهو ينظُرُ إلى أوليڤر بغضَب، "وقد أحرقَتْ والدتي الوصيّةَ".

واستدارَ السيد براونلو في اتجاهِ روز وسأل مونكس: "هل تعرفُ هذه السيّدة الشابة، يا سيّدي؟"

فقالت روز مرتجفة: "لم يسبقْ لي أن رأيتُك قبلاً".

"كثيراً ما رأيتُكِ"، أجاب مونكس. "كان لأنياس شقيقةٌ كانت صغيرةً جداً عندما وُلد أوليڤر. أنتِ تلكَ الشقيقة. كانت والدتي تكرهُكِ بقدرِ ما كرِهَت أنياس. وأخبرَتِ الجميعَ بأنك وُلدتِ خارجَ رباطِ الزواج. وبعد وفاةِ والدِك، تأكدَتْ من أنك تعيشين حياةً بائسةً مع عائلةٍ فقيرة".

"إلى أن رأتني السيدة مايلي وتبنّتني"، همسَتْ روز والدُموعُ في عينَيها.

فقالتِ السيدةُ مايلي: "لا تبكِ يا ابنتي. انظُري هنا من ينتظر ويتُوقُ إلى ضمِّكِ بين ذراعَيه، يا ابنتي المسكينة!"

"لن أنادِيكِ أبداً خالتي!"، قال أوليڤر وهو يُلْقي بذراعَيه حولَ عُنقِ روز. "ستكونين شقيقتي العزيزةَ الخاصّة بي". وبكى أخيراً من شدّة الفرح.



شارفتِ الوقائعُ المتصلةُ بهؤلاءِ الأشخاصِ على نهايتِها تقريباً، ويمكن إخبارُ القليلِ المتبقّي منها بكلماتٍ قليلةٍ وبسيطة. تزوَّجَت رُوز من هاري ابنِ السيّدة مايلي بعد ثلاثةِ أشهر، أي في الوقتِ نفسِه تقريباً من تبنّي السيد براونلو لأوليفر. وأخذَ الفتى المحبوبُ نصفَ ميراثِه فقط وأصرَّ على إعطاءِ النصفِ الآخرِ لمونكس. طاردَتِ الشُرطةُ سايكس حتى مُستودَعٍ قديم، وحكَمَ عليه بالموت شنقاً بحبلِه الخاص بينما كان يُحاولُ التنقّلَ بين سطوحِ المنازلِ متأرْجحاً به. وماذا عن فاغين؟ لقد شُنِق أيضاً - على مرأى من حَشْدٍ كبيرٍ من الناسِ خارجَ السجن.

أروع القصص العالمية



أكاديميا